المحاضرة الثالثة

التربية عند الرومان

يقسّم تاريخ التربية الرومانية إلى قسمين كبيرين، التربية الرومانية القديمة والتربية الرومانية الجديدة، والتربية القديمة يقصد بها الأساليب والطّرق التهذيبية في الأجيال التي سبقت انتشار مبادئ التربية اليونانية في روما، أما التربية الجديدة فهي تبحث في التربية الرومانية ونشأتها بعد انتشار المدنيّة الإغريقية في روما.

1- **التربية الرومانية القديمة:** وهي بدورها تقسّم إلى عصرين فرعيين:

أ- **العصر الأوّل (753-250 ق.م):** في هذا العصر لا توجد مدارس للأطفال فقد كانت التربية تقتصر على البيت والطبيعة، فكانت الأم تتعهّد الطّفل منذ صغره، ولا تلقي به إلى المرضعات كما هو الشأن عند اليونان، وإذا أصبح طفلا صاحب أباه إلى العمل، أو إلى المعسكر، وكانت التربية خلقية، والاهتمام بحفظ الأناشيد الدينية التي تحتوي على أسماء الآلهة، وفي أواخر هذا العصر ظهرت المدارس الأوليّة وتعرف باسم (LUDI) ومعناه اللعب، كانت قليلة العدد والهدف منها تعليم القراءة من أجل حفظ "الألواح الاثنى عشر" التي تحتوي على القانون الروماني.

ب- **عصر الانتقال (250-50 ق.م):** وفي هذا العصر دخلت المبادئ والعادات والأفكار اليونانيّة إلى روما تدريجيّا منذ أواسط القرن 3 ق.م إلى منتصف القرن الأوّل ق.م، وفي أول هذا العصر كثر عدد المدارس الأوّلية (مدارس الأدب)، ثم دخلت مدارس النحو والخطابة اليونانية إلى روما، ثم تحوّلت هذه المدارس إلى مدارس لاتينيّة، إلا أنّ مجلس الشيوخ رفض ذلك وطرد المعلميّن.

2- **التربية الرومانية الجديدة:** وتنقسّم إلى عصرين:

أ- **العصر الإمبراطوري (50ق.م-200م):** ازداد الإقبال على الثقافة اليونانية، ورغم ذلك بقيت المدارس الأوّلية (الأدب) لم تتغير ولم تترق، بل بقيت كما هي يعلمون فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ويدرسون فيها الأوديسي (اللاتينية) عوض عن اللوائح الاثني عشر التي كانت تدرّس سابقاً، أما مدارس النحّو التي عارضها مجلس الشيوخ في العصر السابق أصبحت رسميّة، وقد كانت على نوعين أحدهما للنحو اليوناني والثاني لتعليم النحو اللاّتيني، وقد كان يشمل النحو في نظرهم على دراسة الأدبيّات والتاريخ والعلوم، وكانت الغاية من هذه المدارس هي إتقان القراءة البليغة والإنشاء الجيّد، أما مدارس الخطابة عند الرومان فكانت بمثابة مدارس السوفسطائيين لليونان، غايتها تدريب الشاب الروماني

الذي أنهى المدارس الأوّلية ومدارس النحو على فنّ الخطابة والإلقاء، ولا يدخلها إلاّ من ينوون الاشتغال بالسياسة أو المحاماة، وإضافة إلى ذلك فقد أشار –كونتليان– بأن المربي الروماني الخطيب يجب أن يكون ملمّاً بالعلوم ويتقن اللغة مع رشاقة الحركات ومعرفة الشرائع وحسن الالقاء، كما يجب أن يكون فاضلاً شهماً.

وفي أواخر القرن الرابع ميلادي أصبحت الديانة المسيحية هي دين الدولة الرسمي، وبذلك ظهر نوع جديد من المدارس هي –المدارس المسيحيّة– ويلتحق بها الطلاب ما بين سن 18–20 سنة قصد تعلّم المعتقدات المسيحيّة، أمّا في العصور السابقة، فقد كان الطلاب في هذه السّن يلتحقون بالمدارس الرياضية.

ب– **عصر التدهور والإنحطاط (200–529م):** حيث اتسّم هذا العصر بالفساد والانحلال، فقد استولت السلطة على ثروات الشعب، وأصبحت قادة الجيش يفرضون الضرائب لتسليح الجيش، وقد كانت هناك مبالغة في فرض الضرائب، قلّ عدد المزارعين، فتركت الأراضي بلا استغلال، ممّا أثّر ذلك على عملية التربية والتعليم، حيث أصبح البيان والبلاغة أهدافاً لا وسائل، فكان التلاميذ يتخيرون من الكلمات الغريب والشاذ، واقتصر تعلم الأخلاق على حفظ حكم ومواعظ وكتابة موضوعات إنشائية عن الأخلاق.

وقد اختفت المدارس الأوّلية في هذه المرحلة، وهذا سبب حالة البؤس والذّل اللذين وصلت إليهما طبقة الشعب التي كانت تدخل هذه المدارس.

أما مدارس النحو والخطابة فقد استمرّت بصورة شكلية يتعلم فيها أبناء الطبقة العليا فقط.

وفي عهد القياصرة سيطرت الدولة سيطرة كاملة على التربية.

وقد كان الرّومان يولون عناية كبرى بالبيت ويعتبرونه أهم وسائل التربية العمليّة قبل نشأة المدارس، حيث كان يتم الاعتماد على التقليد باعتباره ميلاً فطرياً في الإنسان.

بعض أعلام التربية الرومانية:

بعد أن أصبحت التربية عملية منظمة ومقصودة واندمجت ثقافتهم مع الثقافة اليونانية ظهر بعض المربّين منهم:

1– كاتو Cato (224–149 ق.م):

وقد كان من بين الذين رفضوا الاحتكاك بالثقافة اليونانية نتيجة لما وقع من انحلال داخل روما جرّاء هذا التأثير إذ رفض الآداب والفلسفة اليونانية، غير أنه تراجع واستسلم للأمر، لأن تيّار تأثير الثقافة اليونانية في ذلك الوقت، وفي الوقت الذي بعده كان أقوى من أن تصدّعه معارضة –كاتو–.

2- شيشيرون Cicéron (156-43 ق.م):

كان متحمّساً للعلوم والثقافة اليونانية عكس -كاتو- وكان يرى في تأثيرها على الثقافة الرومانية خير وبركة، وهذا راجع لاتساع نطاق تأثير الثقافة اليونانية على الثقافة الرومانية في عصره من جهة ومن جهة أخرى نظراً لإلمامه باليونانية وعلومها وفلسفتها وكذا الأدب اللاتيني، وبالتالي ألّم بآداب وعلوم الثقافتين ممّا ترك أثراً بالغاً في مفهومه للتربية الذي كان يجمع بين نظريّات الثقافتين.

3- كوينتليان Quintilian (35-90م):

وقد كان من أشهر فلاسفة الرّومان وكتّابهم في التربية والذي كان له أثر كبير في التربية الرومانية في العصر الإمبراطوري المبكّر، وفي العصور التي لحقت هذا العصر، وقد شملت أفكاره التربوية جميع جوانب التربية، وامتازت أفكاره بفائدة العملية التطبيقية التي تسهل على المدرّس أن يستفيد منها في تدريسه، والقيمة العملية لأفكاره ونابعة من كونه كان مدرّساً، وقد صادفته الكثير من المشاكل العملية.

وقد حاول أن يبسّط آراء التربوية من خلال كتابه "أسس الخطابة" والتي هي متصلة بطرق التدريس وبالتنظيم المدرسي ومعالجة مشاكل التعليم العمليّة أكثر من اهتمامه بالتربية وأهدافها ومفهومها.

لكن هذا لا يتنافى مع أنه كان يرمي إلى تحقيق أهداف تربوية من وراء التنظيم التربوي الذي اقترحه.

ويبقى الهدف العام عنده وعند -شيشيروه- هو إعداد المواطن الروماني الصالح الذي يمكنه أن يؤدي مهام الحياة العمليّة على أكمل وجه.